سورة البروج

بسم الله الرحمن الرحيم

« والسَّماءِ ذَاتِ البرُوجِ ، واليومِ الموْعودِ ، وَشَاهِدٍ ومَشْهودٍ ، قُتِلَ أصحابُ الأُخْدُودِ ، النَّارِ ذَاتِ الوَقُودِ ، إذْ هُمْ عَليْها قُعُودٌ ، وهُمْ علَى ما يَفْعَلونَ بالمؤْمنينَ شُهودٌ ، وَما نَقَموا مِنْهمْ إلاّ أنْ يُؤْمنوا باللهِ العزيزِ الحميدِ ، الذى لهُ مُلكُ السَّموات والارْضِ واللهُ على كلِّ شيءٍ شَهيدٌ » .

بيان مكان نزولها وعدد آياتها :

هى سورة مكية ، وآياتها اثنتان وعشرون آية بالاتفاق .

بيان وجه مناسبتها لما قبلها :

وجه مناسبتها لسورة الانشقاق أن كلا منهما مشتملة على وعد المؤمنين ووعيد الكافرين ، مع التنويه بشأن القرآن وفخامة قدره .

بيان المقصود من هذه السورة

وردت هذه السورة لتثبيت المؤمنين على ما هم عليه من الايمان ، وتشجيعهم على احتمال الأذى من الكفار ، وتذكيرهم بما جرى على من تقدمهم من التعذيب على الايمان وصبرهم على ذلك ـ حتى يتأسوا بهم ، ويصبروا على ما كانوا يلقون من

قومهم ، ويعلموا أن هؤلاء عند الله عز وجل بمنزلة أولئك المعذبين ، ملعونون مثلهم ، أحقاء بأن يقال فيهم ما قد قيل فيهم اهـ أبو السعود .

بيان المعنى

والسماء ذات البروج :

« الواو » للقسم ـ والمراد « بالسماء » سماء الدنيا عند كثير من المفسرين ، لأن البروج فيها بحسب ظاهر الرؤية ، و « البروج » جمع برج ، وهو الأمر الظاهر بحسب الأصل .

والمراد بها هنا البروج الاثنا عشر التى ترى صورها فى الأشكال الحاصلة من اجتماع بعض الكواكب على نسب خاصة ، سميت بذلك لظهورها ووضوحها .

وهذه البروج تنتقل فيها الشمس فى ظاهر الرؤية . ومنها ستة فى شمال خط الاستواء هى : الحمل ، والثور ، والجوزاء ، والسرطان ، والأسد ، والنبلة ـ وستة فى جنوبه ، هى : الميزان ، والعقرب ، والقوس ، والجدى ، والدلو ، والحوت .

وتقطع الشمس الثلاثة الأولى فى ثلاثة أشهر أولها اليوم العشرون من مارس ، وهذه المدة هى فصل الربيع ـ وتقطع الثلاثة الثانية فى ثلاثة أشهر أيضاً ، أولها اليوم الحادى والعشرون من يونيو ، وهذه المدة هى فصل الصيف ـ وتقطع الثلاثة الثالثة فى ثلاثة أشهر أيضاً ، أولها اليوم الثانى والعشرون من سبتمبر ، وهذه المدة هى فصل الخريف ـ وتقطع الثلاثة الرابعة كذلك فى ثلاثة أشهر ، أولها اليوم الثانى والعشرون من ديسمبر ، وهذه المدة هى فصل الشتاء .

بيان الحكمة

فى القسم بالسماء الموصوفة بهذا الوصف

إنما أقسم الله بالسماء مع وصفها بأنها ذات البروج لما فى السماء من الدلالة على

عظمة موجدها ، وقدرة صانعها ، وكبرياء مبدعها ، ولما فى البروج من عجيب الحكمة ، لأن سير الشمس فيها يرتبط به مصالح العالم السفلى ، وانتظام معاشه ، وانتعاش أحواله .

و « اليوم الموعود » :

المراد بذلك اليوم ، يوم القيامة ، والمراد « بالموعود » الموعود به ، لأن الله تعالى وعد به ولما فصل إليه .

بيان الحكمة

فى القسم بذلك اليوم

إنما أقسم الله به للتنبيه على القدرة والقهر ، إذ كان هو يوم الفصل والجزاء ، ويوم التفرد بالملك والقهر ، الذى تقف فيه الجبابرة أمام عظمة مالك الملك ذى الهيبة والجلال .

وشاهد ومشهود :

اختلف المفسرون فى المراد منهما :

فقيل : الشاهد يوم الجمعة ، والمشهود يوم عرفة .

بيان الحكمة فى القسم بهما :

وإنما أقسم الله بهما ، لأن الأول يشهد على كل عامل بما عمل فيه ، والثانى تشهد فيه الناس ، أى تحضر فيه فى صعيد واحد لأداء مناسك الحج .

وقال الحسن بن على :

الشاهد جدى عليه الصلاة والسلام ، ثم قرأ : «وجئنا بك على هؤلاء شهيداً» والمشهود يوم القيامة ، ثم قرأ : « ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود » .

وعن الترمذى :

الشاهد الحفظة ، والمشهود عليه الناس .

وعن ابن جبير ومقاتل :

الشاهد الجوارح ، والمشهود عليه أصحابها .

وقيل :

الشاهد الليالى ، والمشهود عليه بنو آدم ؛ فقد روى : «ما من يوم إلا ينادى يا ابن آدم إنى يوم جديد ، وإنى على ما يعمل فى شهيد ، فاغتنمنى ، فلو غابت شمسى لم تدركنى إلى يوم القيامة » .

واختار كثير من المفسرين :

أن المراد بالشاهد من يحضر يوم القيامة ، ويشهده من الخلائق ، وأن المراد بالمشهود ما يكون فيه من الأهوال والعجائب .

فيكون المولى سبحانه وتعالى قد أقسم بيوم القيامة ، وبمن يبعث فيه ، وبما يكون فيه ، تعظيما لذلك اليوم ، وإرهابا لمنكريه .

وأقول : أقوى هذه الأقوال أولها ، وقد جاء به الحديث المرفوع عن أبى هريرة وابن عباس .

ولعل وجه من عدل عنه إلى غيره أنه اعتبره مجرد مثال للشاهد والمشهود جاء به الحديث ، ولا مانع من ذكر أمثلة أخرى غيره ، وحينئذ يصح إرادة كل شاهد ومشهود من المذكور فى جميع الأقوال ، والله أعلم .

بيان جواب القسم

جواب القسم محذوف دل عليه جملة « قتل أصحاب الأخدود » إلخ وحذف لطوله مع تبادره الذهن .

والتقدير : أقسم بالسماء ذات البروج ، واليوم الموعود ، وشاهد ومشهود ، لقد ابتلى من قبلكم من المؤمنين ببطش أعدائهم ، واشتدادهم فى ايذائهم ، وأقسم لقد صبروا ، ولقد انتقم الله ممن أوقع بهم وآذاهم ، ولئن صبرتم ليأخذن الله أعداءكم ، ولينزلن بهم من بطشه مالا قبل لهم به .

قتل أصحاب الأخدود :

« الأخدود » الشق فى الأرض ، و « قتل أصحابه » عبارة عن أخذهم بذنوبهم ؛ ونزول النكال بهم فى الدنيا والعذاب فى الآخرة

وأصحاب الأخدود قوم كافرون ذوا بأس وقوة أصابوا قوما مؤمنين ، غاظهم إيمانهم ، فحملوهم على الكفر ، وأكرهوهم أن يرتدوا إليه فأبوا ، فشقوا لهم شقا فى الأرض ، وحشوه بالنار ، وجاءوا بالمؤمنين واحداً واحداً وألقوهم فى النار ، وكان هؤلاء القساة قعوداً على جوانب الشق حول النار يشاهدون احتراق الأحياء الحية وما تفعل بها النيران .

وقد كثرت الرؤيات فى تعيينهم ، وأنى كانوا ، ومن هم أولئك المؤمنون ، وأين كان منزلهم من الأرض .

قال الأستاذ الامام : والأشهر أن المؤمنين كانوا نصارى نجران عندما كان دينهم دين توحيد ليس فيه حدث ولا بدعة ، وأن الكافرين كانوا من أمراء اليهود الذين لا يبعدون عن هؤلاء فى حقيقة الوثنية اه .

وقال بعضهم :

إن رجلا ممن يقرأ الانجيل آجر نفسه فى عمل ، وجعل يقرأ الانجيل ، فرأت بنت المستأجر النور يضىء من قراءة الانجيل ، فذكرت ذلك لأبيها ، فسأله فلم يخبره ، فلم يزل به حتى أخبره بالدين الذى يعتنقه ، فتابعه هو وسبعة وثمانون مابين

رجل وامرأة ، فسمع بذلك رجل اسمه يوسف بن ذى نواس ، فخندق فى الأرض ، وأوقد فيها ، ثم عرضهم على النار ليرجعوا ، فمن أبى قذفه فيها ، ومن رجع عن دين عيسى لم يقذفه .

وروى أن امرأة منهم جاءت ومعها ولد صغير يتكلم ، فلما قامت على شفير الخندق نظرت إلى ابنها فرجعت عن النار ، فضربت حتى تقدمت ، فلم تزل كذلك حتى تقدمت ، فلم تزل كذلك ثلاث مرات ، فلما كانت فى الثالثة ذهبت ترجع ، فقال لها طفلها ، يا أماه قعى ولا تقاعسى فانك على الحق ، فلما سمعت منه قذفت نفسها فى النار .

قالوا : وكان ذلك الحادث بعد ما رفع عيسى إلى السماء ، وقبل مبعث النبى ﷺ بسبعين سنة اه جل على الجلال .

وأقول : إن المؤمن لا يحتاج فى الاعتبار وإشعار الموعظة قلبه إلى أن يعرف القوم والجهة والدين الذى كان عليه هؤلاء وأولئك حتى يطير وراء القصص المشحونة بالمبالغات ، والأساطير المحشوة بالخرافات ، وليس عليه إلا أن يعرف ما ذكرناه فى أول القصة إجمالا ، ولا يشغل نفسه بالتفاصيل .

« النار ذات الوقود »

« النار » بدل من الأخدود . أى أن أصحاب الأخدود هم أصحاب النار ذات الوقود . و « الوقود » هو ما يوقد به من الحطب ونحوه .

« إذ هم عليها قعود »

« إذ » ظرف لقوله « قتل » أى استوجبوا النكال حين هم على حافتها قعود

« وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود »

« شهود » حضور .

« والمعـــــنى »

إن أولئك الجبابرة الذين أمروا باحراق المؤمنين كانوا حضوراً عند تعذيبهم يشاهدون ما يفعله أتباعهم بأولئك المؤمنين ، وفى ذلك إشارة إلى قسوة قلوبهم ، وتمكن الكفر من نفوسهم مع ما فيه من الاشارة إلى قوة اصطبار المؤمنين ، وشدة جلدهم ، ورباطة جأشهم ، واستمساكهم بحقهم .

وأقول : إن قسوة قلوب الكافرين لها أمثلة عديدة فى هذا العصر الذى يسمى عصر المدنية والحضارة ، والعدل والانصاف ، والحرية والمساواة .

والله يعلم أنها مدنية زائفة ، وحرية باطلة ، وما هى إلا ستار ابتدعه أهله للسلب والنهب ، والسيطرة والطغيان .

ولكن الأعين لم تعد نائمة ، والقلوب لم تبق غافلة ، وثياب الرياء قد شفت عما تحتها ووضح الصبح لذى عينين ، وكشر المظلوم عن نابه ، ونادى بالجهاد والكفاح لاسترجاع الحق السليب ، ورفعة الوطن الذليل .

ولا ثورة أقوى من ثورة المظلوم إذا ربع حماه ، ولا عاصفة أشد من عاصفته إذا استبيح حريمه .

وها نحن الشرق يستيقظ بعد الرقاد ، ثم ها هو يهب فى وجه الظلم هبة مضرية ستجتاح قواعد الاستعمار باذن الله ، وإن غداً لناظره قريب ، «وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون » .

ثم قال تعالى :

« وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد ، الذى له ملك السموات والأرض والله على كل شيء شهيد »

بيـــان المعنى

« وما نقموا إلخ » جملة معطوفة على جملة: «وهم على مايفعلون بالمؤمنين شهود» وليس هذا من عطف الفعلية على الاسمية ، بل من عطف الاسمية على مثلها ، لأن التقدير : « وهم ما نقموا منهم » .

ومعنى «نقموا» أنكروا وعابوا . وقوله : « إلا أن يؤمنوا » استثناء مفصح عن براءتهم عما يعاب وينكر بالكلية ، وهو من تأكيد المدح بما يشبه الذم . — كما فى قول القائل :

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب

والمراد من « يؤمنوا » يستديموا الايمان ، ويستمروا ثابتين عليه ، لأن تعذيبهم لم يكن على إيمانهم الذى مضى بل كان ما يأتى ، بدليل أنهم كانوا يتركون من رجع إلى دينهم وترك ما كان عليه ، ولهذا عبر النظم الكريم بالمضارع بدل الماضى فقال : « إلا أن يؤمنوا » .

« والمعنى »

إن هؤلاء الكفار أصحاب الأخدود لم ينكروا على المؤمنين ، ولم يعاقبوهم إلا على شيء لا يجوز العقاب عليه ، بل ينبغى لكل أحد أن يكون عليه ، ويدعو غيره إلى التمسك به ، وهو الايمان بالله .

« بيان الأوصاف التى ذكرت لله هنا »

وذكر هنا جملة أوصاف تستوجب الايمان بالله تعالى :

(أولها) العزيز ، — ومعناه : الغالب الذى يخشى عقابه ، وتهاب صولته ، وهو إشارة إلى القدرة التامة .

(وثانيها) الحميد — ومعناه : الذى يستحق الحمد والثناء على ألسنة عباده المؤمنين على ما أولاهم من نعمه الفائضة ، ومننه السابغة ، وهو إشارة إلى العلم لأن العالم هو الذى يفعل الأشياء الحميدة .

(ثالثها) الذى له ملك السموات والأرض — ومعناه : المالك لأمر السموات والأرض ، المدبر لشأنهما ، القيم عليهما ، وهو إشارة إلى الملك التام .

فثبت أن من كان موصوفاً بهذه الصفات كان هو المستحق للإيمان به ، وأن غيره لا يستحق ذلك البتة ، فكيف حكم أولئك الكفار الجهال بكون مثل هذا الإيمان ذنباً .

أما قوله تعالى :

« والله على كل شيء شهيد »

فهو وعد لأولئك المؤمنين ، ووعيد لمعذبيهم ، فان علمه تعالى بجميع الأشياء التى من جملتها أعمال الفريقين يستدعى توفير جزاء كل منهما حتما .

ثم قال الله تعالى . « إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق »

بيان وجه الربط

وجه الربط أن الله سبحانه وتعالى لما ذكر قصة أصحاب الأخدود أتبعها بما يتفرع عليها من أحكام الثواب والعقاب .

بيـــان المعنى

« فتنوا » — الفتنة الابتلاء والاختبار ، واختلف فى المراد بالفاتنين والمفتونين هنا :

قيل : المراد بهم أصحاب الأخدود ، والمطروحون فيه خاصة .

وقيل : المراد الأعم ، فيشمل كل فاتن من الكافرين ، وكل من وقع عليه الأذى من المؤمنين ، ويدخل فيه المذكورون من أصحاب الأخدود الفاتنين، ومن طرح فى النار من أولئك المؤمنين دخولا أولياً . وهذا أظهر من سابقه .

ومعنى « ثم لم يتوبوا » ثم لم يرجعوا من فتنهم وإيذائهم ، وكفرهم وطغيانهم .

وفى هذا دليل على أنهم لو تابوا وآمنوا لخرجوا من هذا الوعيد ، وذلك يدل على القطع بأن الله تعالى يقبل التوبة ، ويدل على أن توبة القاتل مقبولة .

أما قوله تعالى :

« فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق »

فهو واقع خبرا عن « إن » فى « إن الذين فتنوا » ومعنى الجملة : إن لهؤلاء الفاتنين الذين ماتوا ولم يتوبوا فى الآخرة عذاب جهنم بسبب كفرهم ، فان فعلهم لا يتصور من غير كافر ، ولهم عذاب الحريق بسبب فتنهم المؤمنين والمؤمنات .

« بيان الفرق بين عذاب جهنم وعذاب الحريق »

قيل : إن عطف « عذاب الحريق على عذاب جهنم » من عطف الخاص على العام ، لأن عذاب جهنم يكون بالزمهرير والاحراق وغيرهما .

فكأنه قيل : لهم عذاب جهنم بأنواعه بسبب كفرهم ، ولهم عذاب الحريق فقط بسبب فتنهم المؤمنين والمؤمنات .

وقيل : إن عذاب جهنم وعذاب الحريق شىء واحد ، وعطف الثانى على الأول للتفسير مع التأكيد وزيادة التهويل ، وليس الأول بسبب كفرهم كما تقدم لأن عنوان الكفر لم يصرح به فى صدر الآية .

ويكون المراد من هذا تهويل أمرهم ، وتقطيع حالهم ، وزيادة تخويفهم ، حتى كأنهم لا يعذبون عذابا واحداً كما يعذب سائر المذنبين .

ثم قال تعالى :

« إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار ذلك الفوز الكبير » .

بيان وجه الاتصال

وجه الاتصال أن الله تعالى لما بين ما أعد للكافرين من العذاب الأليم جزاء لهم على ما اجترحت أيديهم من السيآت أخذ فى بيان ما أعد للمؤمنين من جميل الثواب وعظيم الجزاء ، فان من تمام المناسبة أن يذكر عقيب ماأعد للاعداء من النكال الأليم ، ذلك النعيم المقيم الذى أعد للأولياء ، ليكون أنكى فى إيلام الأعداء .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

بيان المعنى

« الجنات » تطلق على الأشجار الملتفة الكثيرة الأغصان ، وقد تطلق على ما يعم الأرض والأشجار .

فان أريد منها هاهنا الأشجار وحدها ، كان جريان الأنهار من تحتها ظاهراً ، لأن الماء يجرى من تحت الأشجار ، وإن أريد منها ما يعم الأرض والغرس ، كان معنى جريان الأنهار من تحتها أنها تجرى من تحت بعضها الذى هو الشجر .

واسم الاشارة فى « ذلك » يرجع إلى المذكور من الجنات ونعيمها ، وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو الدرجة ، وبعد المنزلة فى الفضل والشرف و «الفوز» النجاة من الشر والظفر بالخير .

والمعنى

إن الله جلت قدرته جعل للمؤمنين الصالحين بسبب إيمانهم وأعمالهم جنات فيها الأنهار الجارية ، يتمتعون بمشاهدتها ، ويفرحون برؤيتها ، وجعل تلك الحيازة للجنات وما فيها فوزاً لايدانيه فوز وظفراً لا يقاربه ظفر .

ثم قال تعالى :

« إن بطش ربك لشديد ، إنه هو يبدىء ويعيد وهو الغفور الودود ، ذو العرش المجيد ، فعال لما يريد » .

بيان وجه الربط

وجه الربط أنه تعالى لما ذكر وعيد الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ولم يتوبوا ، وعقبه بذكر وعد الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، أردف ذلك الوعيد والوعد بما يدل على تأكيدهما : فقال فى تأكيد الوعيد « إن بطش ربك لشديد » وقال فى تأكيد الوعد : « وهو الغفور الودود » .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

بيان المعنى

إن بطش ربك لشديد :

« البطش » الأخذ بصولة وعنف ، ووصفه بالشدة للدلال على تضاعفه وتفاقم أمره .

إنه هو يبدىء ويعيد :

« يبدىء » ينشىء الخلق فى الابتداء ، « يعيد » يرجعهم إلى الحياة بعد الفناء يوم القيامة .

وهذه الجملة فى موضع التعليل لشدة البطش .

والمعنى

إن أخذه تعالى للجبابرة بالعذاب والانتقام بالغ نهاية العنف ، وغاية الشدة ، لأنه عز وجل يخلق الخلق فى الابتداء ، ويعيدهم بعد الفناء يوم الجزاء .

ومن كان قادراً على ذلك ، إذا بطش كان بطشه فى غاية الشدة ونهايتها .

« وهو الغفور الودود » إلخ .

ذكر هنا خمسة أوصاف من أوصاف الرحمة والجلال ، والعظمة والكبرياء .

« أولها » الغفور ، وهو الساتر لذنوب من شاء من عباده ، تاب أو لم يتب ، لقوله تعالى : « إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » وهذا مذهب أهل السنة .

وقالت المعتزلة : الغفور لمن تاب وآمن فقط ، والراجح الأول ، لأن الآية واردة فى معرض التمدح ، والتمدح بكونه غفوراً مطلقا أتم ، فالحمل عليه أولى ، ولأن الغفور صيغة مبالغة ، فالمناسب أن يحمل على الاطلاق .

و « ثانيها » الودود ، وهو المتودد إلى أوليائه بالرحمة ، المحب لمن أطاعه ، ومحبته تعالى لعبده ، ومودته له ، كناية عن إنعامه سبحانه على أوليائه ، وإكرامه لأصفيائه .

و « ثالثها » ذو العرش ، ومعناه ، ذو الملك والسلطان ، والقدرة النافذة ، والأمر الذى لا يرد .

و « رابعها » المجيد بالرفع ، وهو العظيم سبحانه فى ذاته وصفاته ، فانه تعالى واجب الوجود تام القدرة كامل الحكمة .

و « خامسها » أنه تعالى فعال لما يريد .

ومعناه : أنه سبحانه وتعالى لا يعجزه شيء ، أي يفعل ما يريد أن يفعل على ما يراه لايعترض عليه أحد ، ولا يغلبه غالب ، فيدخل أولياءه الجنة لا يمنعه مانع ، ويدخل أعداءه النار لا ينصرهم منه ناصر .

ويمهل العصاة إلى ما يشاء ، إلى أن يجازيهم ، ويعاجل بعضهم بالعقوبة إذا شاء . اه جل .

ثم قال تعالى :

« هل أتاك حديث الجنود فرعون وثمود » :

بيان وجه الربط

وجه الربط أن في هاتين الآيتين تقرير الشدة بطشه تعالى بالظلمة والعصاة ، والكفرة والطغاة ، وتأييداً لكونه تعالى فعالا لما يريد ، حيث لم يمنعه مانع من إهلاك فرعون وجنوده ، — وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالاشعار بأنه سيصيب كفرة قومه ما أصاب فرعون وثمود :

بيان المعنى

« هل » بمعنى قد ، و « الجنود » جمع جند ، يقال : للعسكر — ويقال : للأعوان ، والمراد به هنا الجماعات الذين تجندوا على أنبياء الله تعالى ، واجتمعوا على أذيتهم :

وقوله : « فرعون وثمود » بدل من « الجنود » على حذف مضاف ، والتقدير جنود فرعون وثمود :

والمراد بحديثهم ما صدر عنهم من التمادي في الكفر والضلال ، وما حل بهم من العذاب والنكال :

وإنما خص فرعون وثمود بالذكر ، لأن ثمود قوم صالح ، وقد كانوا فى بلاد العرب وقصتهم عندهم مشهورة ، وإن كانوا من المتقدمين .

وكذلك ما كان من فرعون مع موسى كليم الله وما كان من إغراقه مع قومه جزاء مخالفته ، كل ذلك كان معروفا عندهم من اليهود المجاورين لهم .

وأقول : تكلمنا على قصة موسى مع فرعون فى سورة النازعات عند قوله تعالى : « هل أتاك حديث موسى » فلتراجع .

والمعنى

قد أتاك حديث هؤلاء وعرفت ما فعلوا وما فعل بهم ، فذكر قومك شؤون الله ، وأنذرهم أن يصيبهم مثل ما أصاب أمثالهم .

ثم قال تعالى :

« بل الذين كفروا فى تكذيب والله من ورائهم محيط » .

« بل » تفيد الاضراب الانتقالى عن جناية صادرة من المكذبين لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهى عدم التذكر والاتعاظ بما سمعوا وعلموا من حديث أمثالهم السابقين وما جرى لهم من الاهلاك والتدمير ، إلى ذكر جناية أخرى أشد وأفظع ، وأدهى وأمر ، وهى التكذيب العظيم للقرآن الناطق بذلك .

وكأنه قيل : ليست جناية قومك مجرد عدم التذكر والاتعاظ بما سمعوا من حديث السابقين ، بل هم مع ذلك فى تكذيب عظيم للقرآن الناطق بذلك وكونه قرآنا من عند الله تعالى مع وضوح أمره وظهور حاله بالبينات الباهرة .

وقوله تعالى :

« والله من ورائهم محيط » تمثيل لحالهم مع القهر الالهى ، وأنهم فى قبضة

العزة لا يفلتون منها ، ولا يفوتون الله ولا يعجزونه كما لا يفوت الشيء ما يحيط به اه الاستاذ الامام .

ثم قال تعالى :

« بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ » .

بيان المعنى

بل هو قرآن مجيد :

« المجيد » العظيم ، و « بل » للاضراب الانتقالى — والمراد الانتقال عن الاخبار بشدة تكذيبهم بالقرآن وعدم ارعوائهم له ، إلى وصف القرآن بأنه كتاب شريف عالى الطبقة فيما بين الكتب الالهية فى النظم والمعنى .

والغرض من هذا الوصف الاشارة إلى أن القرآن لا ريب فيه ، ولا يضره تكذيب هؤلاء .

وقوله تعالى : « فى لوح محفوظ » .

متعلق بمحذوف وقع وصفا : « لقرآن » — أى قرآن كريم كائن فى لوح محفوظ من التغيير والتبديل ، والزيف والباطل وقد جاء فى وصف اللوح آثار واهية ، منها ما روى عن ابن عباس أن اللوح المحفوظ درة بيضاء ، طوله ما بين السماء والأرض . وعرضه ما بين المشرق والمغرب ، وحافتاه الدر والياقوت ، ودفتاه ياقوتة حمراء ، وقلمه نور ، وهو معقود بالعرش .

وتقول: ليس علينا الايمان بما جاء فى هذا الأثر وأمثاله، وما علينا إلا أن نؤمن بأن اللوح المحفوظ شيء أخبر الله به وأنه أودعه كتابه ولم يعرفنا حقيقته، ونفوض العلم به إلى علام الغيوب والله أعلم ونستغفر الله من الزلل .

عبد الرحيم فرغل البلينى
المدرس بكلية الشريعة